رأي القدس

حماس وبوابة التطبيع العربية

■ توقع السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية ان تتزايد الضغوط على بعض الدول العربية للتطبيع مع الدولة العبرية واقامة علاقات دبلوماسية معها في حال فوز حزب «كاديما» الذي يتزعمه ايهود اولمرت في الانتخابات الاسرائيلية التي ستجري في اواخر هذا الشهر. وهذا التوقع لا يمكن ان يأتي من خلال تحليل واستقراء للتطورات السياسية في المنطقة العربية. وانما نتيجة «معلومات» فالمتحدث هو أمين عام الجامعة، ووزير خارجية سابق لمصر. ويجلس على كم هائل من الوثائق وعلى اتصال يومي مع رجال الحكم العرب.

ومما يؤكد هذا التوقع الضغوط الهائلة التي تمارس حالياً على حركة المقاومة الاسلامية «حماس» من أجل الاعتراف باسرائيل واقامة علاقات معها، خاصة من قبل القيادات العربية المطبعة او غير المطبعة معها.

وكان لافتاً ان معظم المسؤولين العرب الذين التقاهم وفد الحركة اثناء جولته في العواصم العربية بقيادة السيد خالد مشعل رئيس مكتبها السياسي، «نصحوا» بالاعتراف بالدولة العبرية، بعضهم قدم هذه النصيحة علنا مثل الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، وولي عهد البحرين سلمان بن حمد آل خليفة، والبعض الآخر في الاجتماعات المغلقة.

فعدم اعتراف حركة «حماس» باسرائيل يشكل احراجاً للقيادات العربية التي تفكر بالتجاوب مع الضغوط الامريكية من أجل التطبيع، ويؤلب عليها القوى الاسلامية في بلدانها. بينما اعتراف الحركة يجعل هذه الخطوة سهلة وميسورة.

وجود شارون على قمة السلطة كان يشكل ذريعة تحول دون التطبيع الفوري، بسبب ماضيه الدموي وصورته الكريهة في اذهان العرب والمسلمين المرتبطة بمجازر صبرا وشاتيلا وزيارة المسجد الاقصى التي فجرت الانتفاضة الثانية، ولكن بعد اختفائه من المسرح السياسي بسبب الغيبوبة، زالت هذه الذريعة، خاصة ان خليفته ايهود اولمرت يتحدث حاليا عن انسحابات احادية الجانب من بعض مناطق الضفة الغربية وازالة بعض المستوطنات فيها.

السيد موسى اصاب باطلاق مثل هذه التوقعات، والتحذير من اي عمليات تضليل اسرائيلية، وهرولة عربية نحو التطبيع، فالخطوات احادية الجانب التي يعلن اولمرت عن عزمه اتخاذها لا يمكن ان تصب في مصلحة الفلسطينيين، وشاهدنا كيف حول الانسحاب الاسرائيلي قطاع غزة الى سجن كبير تتحكم القوات الاسرائيلية بمعابره، وتواصل عمليات اغتيالاتها لنشطائه، وتجويع سكانه.

حركة «حماس» يجب ان تصمد في مواجهة الضغوط العربية التي تدفعها نحو التخلي عن ابرز نقطة في برنامجها السياسي وهي رفض الاعتراف والتطبيع. لان مرونتها ستوفر الذرائع لمن يتلهفون على التطبيع تجاوبا مع الضغوط الامريكية في هذا الخصوص.

امر محزن ان تضغط الدول العربية على حركة حماس ليس من أجل تصليب موقفها والتمسك بثوابتها، وانما من أجل التنازل عن هذه الثوابت ودون اي مقابل ملموس.

التطبيع يجب ان يتم في حال واحدة فقط وهي انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، والقبول بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى اراضيهم وليس الى الدولة الفلسطينية، اما التطبيع المجاني فهو طعنة قاتلة توجه الى الشعب العربي الفلسطيني، ومكافأة للاسرائيليين على جرائمهم، خاصة ان هذا التطبيع لم يشجعهم على السلام وانما على المزيد من القتل والاذلال والاستيطان في الارض العربية.

العراق: تحطيم وطن وتقويض دولة وتشظية شعب

د. بشير موسى نافع *

■ ثلاثة أعوام على غزو العراق واحتلاله. «ثلاثة أعوام» نستعيدها هنا للتذكر فقط، وإلا فلم يعد لمحددات الزمن من معنى. الموت اليومي لا يتوقف عند ذكرى ما، والدمار اليومي لا يعتذر من ذكرى ما، وتبديد ثروات العراق وتمزيقه، لا يستأذن ذكرى ما. ثلاثة أعوام على واحدة من أكثر الحروب الحديثة افتقاداً للمسوغ والتبرير، وأكثر الحروب الحديثة مأساوية، وليس ثمة من يعترف بالمسؤولية أو يعرف مخرجاً من هذا الجحيم. المسألة التي نعرفها على وجه اليقين، ان العراق لم يتقدم خطوة واحدة في ظل الاحتلال، وان الحديث عن التقدم ليس أكثر من مجرد وهم واشنطني كبير، أو محاولة أخرى للتنصل والهروب من الفشل إلى الأمام. على العكس، عراق اليوم أسوأ بكل المقاييس مما كان عليه عشية الغزو.

منذ ولادة التسنن والتشيع لم يعرف العراق ما تتناقله الوكالات من قتل على الهوية. لم يعرف العراقيون في تاريخهم قط عصابات قتلة مهمتهم الوحيدة قتل الشيعي لأنه شيعي وقتل السني لأنه سني. كما ان العراق لم يشهد في تاريخه قط هذه الهجرة المكتومة الخطرة للأسر السنية والشيعية من المناطق والأحياء التي يكثر فيها أبناء الطائفة الأخرى. ولن يمر وقت طويل، ربما، قبل ان تبدأ الأسر الواحدة بالتفكك بين زوج وزوجة ينتمي أحدهما لهذه الطائفة والآخر لتلك. وليس ثمة من تفسير لهذا التشظي المستمر للشعب العراقي أكثر فجاجة من الادعاء بأن الانقسام الطائفي كان حقيقة واقعة، لم يمنعها من البروز إلا قمع النظام الدكتاتوري السابق. هل كان النظام المملوكي ـ العثماني (محدود السيطرة)، أو نظام الملك فيصل، قمعياً؟ لماذا لم يقتل العراقيون بعضهم البعض على الهوية الطائفية، لا في العهد العثماني، ولا في العهد الملكي، لا في عهد قاسم ولا الأخوين عارف، ولا حتى البكر وصدام حسين؟ لماذا كان العراقيون ينتشرون في بلادهم بلا عائق طائفي ولا خشية. يقطن السنة والشيعة المثلث جنوب بغداد منذ عهود طويلة مضت، يسكنون أحياء بغداد والبصرة المختلفة، غرب بغداد وشرقها، يتزاوجون ويتجارون معاً، يذهب أبناؤهم إلى مدرسة واحدة وجامعة واحدة ودائرة عمل واحدة. ولم يكن الواحد منهم يتصور ان يأتي يوم يقوم فيه الشيعي أو السني بسفك دم نسيبه أو جاره أو زميله إلا عندما حلت قوات الاحتلال وحلفاؤها أرض وطنهم.

وبالرغم من الانقلابات العسكرية المتكررة وفقدان الاستقرار وعنف بعض الحاكمين، فقد استطاع العراقيون خلال القرن العشرين بناء دولة حديثة لا تقل كفاءة عن أفضل دول العالم الثالث. عرف العراق التعددية السياسية الحزبية في سنوات الحكم الملكي، واستعاد هذه التعددية من جديد في الفترة العارفية. أقام نظاماً تعليمياً حسدته عليه شعوب المنطقة، ووضع أسس نهضة صناعية هامة، نوعياً وكمياً. وقد أصبح العراق بتعداده الصغير نسبياً أحد أهم مراكز الثقافة العربية، وسوقاً لا يوازيه سوق للكتاب. أمم العراق قبل ثلاثة عقود صناعة النفط، التي ظلت تحت سيطرة أجنبية منذ تدفق النفط العراقي في الثلاثينات، وقد أظهرت الشركات الوطنية من ثم كفاءة نادرة في إدارة نفط البلاد، استخراجاً ونقلاً وتسويقاً. أسست الدولة العراقية الحديثة جيشاً لا بأس في أدائه، وأقامت أمناً في بلد تصل مساحته إلى ما يقرب نصف مليون كيلومتر مربع، تحده ست دول أخرى، لم تحتفظ جميعها في الوقت نفسه بعلاقات جيدة مع بغداد. ولكن الأهم من ذلك كله، ان العراق الحديث كان وطناً لأبنائه، بغض النظر عن عسف السلطات الحاكمة ومعتقلاتها ومنافيها. ما عدا حفنة من السياسيين المحترفين الأكراد، نما لدى العراقيين في القرن العشرين وعي جمعي وطني، تداخلت في نسيجه عناصر التاريخ والطموحات القومية والإسلامية، والشعور بالانتماء للعراق. وحتى المسألة الكردية، لم تحاول دولة من دول المنطقة إيجاد حل لها كما حاولت الدولة العراقية، التي كانت هي من أطلق فكرة الحكم الذاتي وجعلت منها تشريعاً.

ليس هناك من شك في ان العراق الحديث تعرض لنكسة كبرى منذ بدء الحرب العراقية ـ الإيرانية، وفي شكل أكبر منذ فرض العقوبات الدولية في 1990. ولكن أسس العراق الحديث ظلت راسخة ومتماسكة إلى حد كبير، وكان يمكن للعراق ان يتعافى خلال سنوات قليلة من رفع العقوبات والحصار. ولكن أمل العراقيين المعاصرين في رؤية وطنهم ينهض من جديد يتبدد الآن أمام أعينهم. فغزو العراق واحتلاله لم يكن مجرد غزو عسكري، أومحاولة أجنبية لإحلال نظام حكم مكان نظام حكم آخر. خلال السنوات الثلاث الماضية، تعرض العراق لتدمير كل منجز من منجزات زهاء قرن من الزمان. دمرت مكتبات الجامعات ومراكز البحث وقاعات الدراسة ومراكز الوثائق والذاكرة العراقية؛ قتل ويقتل أساتذة الجامعات وكبار العلماء والباحثين؛ أشعلت وتشعل النيران في الصناعة النفطية، بينما تقوم عصابات الحاكمين الجدد بنهب ما تستطيع نهبه من الثروة النفطية المستخرجة. ولم تبق مؤسسة واحدة من مؤسسات الدولة لم تتعرض للتدمير، أو التشويه، أو إعادة البناء لتلائم شروط العراق المنقسم على ذاته: المؤسسة التعليمية ومناهج التدريس، الجيش، الشرطة، المؤسسة الأمنية – الاستخباراتية، القضاء، البرلمان، رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء، والدستور ذاته. حتى المساجد باتت عرضة للحرق والتدمير والاستلاب الطائفي البشع. لم يعد هذا وطناً، بل مجموعات متصارعة على القوة والنفوذ والثروة باسم حقوق أو مظلوميات هذه الفئة أو تلك. في العراق وحده تحتاج الانتخابات اكثر من شهر لتعرف نتائجها، وتحتاج البلاد شهوراً ومساومات إقليمية ودولية لتشكيل حكومة عرجاء، بينما لم تبق حارة أو حفنة من الطامحين لم تؤسس محطة إذاعة أو تلفاز للنطق باسمها وزرع أساطير هويتها الانقسامية أو المطلبية في وعي أنصارها.

وفوق ذلك كله، يكتب دستور عراقي جديد على أسس فيدرالية، ليكون العراق أول بلد عربي (وربما أحد بلدان قليلة على مستوى العالم) يبدأ موحداً لينتهي أجزاء عدة. في غفلة من العراقيين، وبقوة السلاح الأجنبي، استولت على مقاليد البلاد وفضائه العام عصبات من المغامرين والسياسيين العجزة والقتلة والمتمركزين حول ذواتهم. ولأن هؤلاء جميعاً لا يملكون ميراث الشرعية الذي يمكن ان يستند إليه لتأسيس طبقة سياسية قائدة، فسرعان ما توسلوا إلى الهويات البدائية الانقسامية. بدون ان يسألهم العراقيون النصح، روج هؤلاء لاستحالة عيش العراقيين مع بعضهم البعض، روجوا لفكرة انقسام جغرافي وهمي بين وسط وشمال وجنوب، وأوقعوا الخطاب العراقي السياسي في هوة الفيدرالية التي لا يعرف أحد متى سيخرج العراق من عواقبها.

من المسؤول عن هذا الجحيم الذي يعيشه العراق «الجديد»؟ هل هي حفنة المحافظين الجدد التي أرادت ان تجعل العراق نموذجاً لهندسة الشعوب العربية على الصورة التي تروق المشروع الإسرائيلي، بدون ان تعرف عن العراق وشعبه وتاريخه شيئاً يذكر؟ هل هي عصابات السياسيين العراقيين المرضى بأحلام القوة والسيطرة التي طفت على سطح العراق بقوة الدفع الأميركية، بدون ان تكون لها جذور في الوعي الوطني العراقي؟ ام هي الدول العربية والإسلامية التي ضحت بالعراق خدمة لأهداف التحالف مع الولايات المتحدة، أو الثأر من النظام العراقي السابق، أو طموح القوة الإقليمي الذي يجد في العراق القوي عقبة أمامه؟ الحقيقة ان الجميع مسؤولون، جميع هذه الأطراف شارك بهذا القدر أو ذاك في إيصال العراق والعراقيين إلى ما هم عليه. والجميع سيدفع الثمن، وليس العراق وحسب. الذين سهلوا غزو العراق مسؤولون، الذين تحالفوا مع الغزاة ووفروا لهم الغطاء السياسي والدعائي مسؤولون، الذين أدخلوا نظام المحاصصة الإثنية والطائفية على الوضع السياسي الجديد مسؤولون، الذين أوغلوا في دم العراقيين سنة وشيعة بلا وازع ولا رادع ولا ضمير مسؤولون، الذين تكالبوا على الثروة والحكم في ظل الحراب الأجنبية مسؤولون، الذين يجعلون من طموحاتهم الصغيرة مبرراً لتقسيم العراق مسؤولون، والذين يجعلون دمار العراق أداة لطموحاتهم الإقليمية مسؤولون.

السيئ ان وضع العراق الحالي سيطول؛ فهذا البلد الذي يمثل صورة مكثفة للاجتماع العربي – الإسلامي في عمومه ما تعرض للانفراط في تاريخه قط إلا وأخذ زمناً طويلاً للالتئام. كونه متعدد الأعراق والطوائف، كونه عرضة لأطماع الخارج والجوار، موقعه في جبهة العروبة، التكالب على ثروته النفطية، والخوف من إمكاناته وطموح أبنائه، يجعل من الصعب عودة العراق إلى ذاته التاريخية السابقة قبل ان تستنفذ تيارات الانقسام والتشظي والتهديد قواها. هكذا سارت دورات العراق التاريخية، وهكذا على الأرجح سيكون على العراق ان يعاني. بيد ان هناك ما هو أسوأ. فهذا العراق لا يعيش في فراغ، ولا هو من الهامشية بحيث يمضي في طريقه بلا أثر ولا صدى. إن كانت العروبة تبدأ من حدوده، فإلى حدوده تنتهي؛ وإن كان التسنن والتشيع قد ولدا في مدنه فإلى مدنه ينتهيان؛ وإن كانت النزعة القومية الكردية قد تجلت أولاً على مرتفعاته فإلى مرتفعاته تنتهي. هذا الانفجار العراقي الكبير، هذا النزيف المستمر، لن يقف عند أبواب الفلوجة وسامراء والكوفة والبصرة. خلف هذا الموت، موت العراقيين وموت الغزاة، ثمة موت آخر قد يجيء. الذين يظنون أنفسهم آمنين خلف أسوار المنطقة الخضراء مهددون بهذا الانفجار والموت، والذين فتحوا الطريق للعاصفة العاتية مهددون بهذا الانفجار والموت، والذين يحسبون ان سنتهم وشيعتهم وعربهم وكردهم في منأى عن سنة العراق وشيعته وعربه وكرده مهددون بهذا الانفجار والموت.

في جلسات الحوار الخاصة، يعترف المسؤولون الأميركيون في بغداد بخطأ الغزو، وخطأ التورط في التحالف مع من فتح الاحتلال أبواب العراق لهم، وخطأ النظام الذي أسس في العراق المحتل، بل وخطأ الدستور الذي أقر بهذه الطريقة أو تلك. بينما يكابر قادتهم في واشنطن بالدفاع عن جريمة السنوات الثلاث، يدرك أميركيو بغداد، شهود الموت اليومي المستمر، ان بلادهم ارتكبت خطأ فادحاً في حق ذاتها وحق الآخرين. ولعل هذا الإدراك، الذي لم ينعكس على سياسات واشنطن بعد، هو ما يحمل بريق أمل ما. وإلى ان يرى العالم هذه الأخطاء كما هي، إلى ان يرى هذه المأساة الكبرى التي انتهت إليها حرب القرن الحادي والعشرين الافتتاحية، على العراق ان ينتظر.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

حتى تصبح المنظمة ممثلاً شرعياً ووحيداً

د. عزام التميمي *

■ رغم تواتر الروايات بأن قرار زعماء حركة فتح مقاطعة حكومة فلسطينية تتزعمها حركة حماس إنما جاء نتيجة للضغوط الأمريكية والإسرائيلية إلا أن السيد عزام الأحمد يصر بأن حركته إنما قاطعت وفاء للمبادئ التي تتمسك بها بينما ترفضها حركة حماس. وقال الأحمد في تصريح نقلته عنه وكالة رويترز، ونشرته صحيفة الواشنطن بوست يوم الإثنين 20 اذار (مارس) الجاري، بأن فتح «لا يمكنها الانضمام إلى حكومة تأبى الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلاً وحيداً وشرعياً للشعب الفلسطيني وترفض الالتزامات الدولية للمنظمة». ولو توقف هنا الأحمد لكان خيراً له، ولكن مرارة الهزيمة التي يشعر بها هو وزملاؤه الذين ـ فيما يبدو ـ لم يتلقنوا ضمن ما لقنوه في جلسات التدريب والتثقيف الطويلة والعديدة التي نظمتها لهم الدول المانحة منذ أوسلو السلوك الديمقراطي، دفعته لأن يلمز ويهمز قائلاً: «ليس من حق قيادة حماس التي تطوف كل العواصم سعياً وراء وساطة تفتح لها قنوات الحوار مع الولايات المتحدة وإسرائيل أن تشطب تاريخ الشعب الفلسطيني وإنجازاته الوطنية».

تشتمل العبارة الأخيرة هذه على فكرتين، أما الأولى فمفادها أن قادة حماس إنما يتجولون أملاً في أن يجدوا من يقنع لهم الولايات المتحدة وإسرائيل بأن تعطف عليهم بقليل من الحوار، وأقل ما يقال فيمن يزعم مثل ذلك أنه مفتر قد أتى ببهتان عظيم. فحركة حماس من قاعدتها إلى قمة الهرم القيادي فيها لا يشغل بال أحد فيها الموقف الأمريكي أو الموقف الإسرائيلي منها، ولا حرص لأحد في الحركة على الإطلاق على التحدث مع أي أمريكي أو إسرائيلي، وكل ما جرى من حوارات ولقاءات مع أفراد أمريكيين من إعلاميين وأكاديميين أو سياسيين ودبلوماسيين سابقين إنما جرى بطلب منهم، واستجابة لرغبة ألحوا في إبدائها للاستماع إلى وجهة نظر حماس في القضية الفلسطينية لحاجة في نفوسهم، وإن كان بعضهم قد صرح بأنهم جزء من تيار صغير لكنه متنام في الولايات المتحدة يرى ضرورة التعامل مع حركة حماس التي أظهرت المؤشرات السياسية منذ أكثر من ثلاثة أعوام أنها مرشحة لقيادة الشعب الفلسطيني في المرحلة المقبلة، وقد كان. وأقول، وقد كنت ممن أعد لجولات الحوار بالتعاون مع أليستر كروك أن حركة حماس كانت مترددة، وغير متحمسة، لأي من هذه اللقاءات، وأن إقناع قادتها قد استغرق جهداً ووقتاً، وأنهم في النهاية ما وافقوا على المشاركة إلا معذرة إلى الله ومن باب القيام بواجب تبليغ الموقف الحق الذي يعبر عن تطلعات وآمال الشعب الفلسطيني بمجمله.

لم يتغير موقف حركة حماس ـ فيما أعلم ـ من الحوار مع الأمريكيين والإسرائيليين بعد الفوز بالانتخابات، وهذا الموقف لا ينبع من فرضية أن الحوار في الأصل ممنوع، بل هو في الإسلام مرغب فيه مطلوب حتى مع الأعادي والخصوم، ولكن ليس بشروط يفرضها هؤلاء فيها تنازل عن المبادئ والقيم والأخلاق. لا أستبعد أن يحصل حوار مع الأمريكان، بل حتى مع الإسرائيليين، يوم يأتي هؤلاء معترفين بجرمهم طالبين التفاهم حول حل المشكلة بوسائل سلمية بديلاً عن الكفاح المسلح، وهذا ما حصل في حالات كثيرة انتهى فيها الاستعمار وغنمت الأمم المجاهدة بالحرية والانتصار. ومن أفضل الأمثلة على ذلك ما حصل في جنوب أفريقيا حينما وأد الشعب هناك إلى غير رجعة نظام التمييز العنصري.

أما أن يحصل الحوار كما تورطت فيه حركة فتح، بأن نتحاور ونتلاطف ونتسامر ونتبادل الأنخاب على أمل أن يعطف علينا هؤلاء ببعض الفتات مقابل أن نتنازل لهم عن الوطن بأسره رغم أنهم هم الظالمون ونحن المظلومون، فهذا أبداً لن تقدم عليه حركة تحترم نفسها وشعبها، وفوق كل ذلك تؤمن بأن الله ربها أقوى وأكبر وأعظم، وهي بذلك لا تهاب ما جمع الأمريكان والإسرائيليون من جند وعتاد، ولا تخضع لضغط أو ابتزاز.

إن الجولة التي تقوم بها قيادة حركة حماس الآن إنما هي في المقام الأول استجابة لدعوات تلقتها من العواصم العربية والإسلامية وحتى غير الإسلامية ابتهاجاً من تلك العواصم بما أنجزته الحركة التي رغم ما تعرضت له من حملات إبادة من قبل الصهاينة وأعوانهم ومن خصومات ومشاكسات من الأقارب والأباعد تبوأت مكانة أكسبتها احترام الأمم. ما من دولة من الدول التي شملتها الجولة حتى الآن إلا كانت حكومتها هي المبادرة بالدعوة، وما كان من قيادة حماس إلا أن لبت بالزيارة. وكل هذه العواصم تسمع حماس رأياً واحداً، لا علاقة له من قريب أو بعيد بشروط العار التي تصر عليها أمريكا وإسرائيل وبعض المسؤولين في حركة فتح. بل إن الحكومات التي تحاورت معها حركة حماس أثناء تطوافها كلها تعرض المساعدة والدعم وتبارك للحركة ما أولاها إياه الشعب الفلسطيني في الضفة وقطاع غزة من ثقة وتأييد. ولا يعني هذا أن الحركة لا تطلب من هؤلاء الدعم والتأييد، بل هي في ذلك تقوم بواجب طلب الواجب منهم، فقضية فلسطين قضية كل عربي وكل مسلم، ولا يجوز بحال أن يترك الفلسطينيون وحدهم في المعترك مع مشروع يستهدف كل عربي وكل مسلم بل وكل إنسان محب للعدل والسلام في العالم.

أما الفكرة الثانية في تصريح «الأحمد» فتتعلق بمنظمة التحرير ومكاسبها، وبتاريخ وإنجازات للشعب تريد قيادة حركة حماس المتجولة بزعمه أن تشطبها. من المفترض في كل فلسطيني أن يعرف تاريخ قضيته، فما منا إلا وأرضع همها مع اللبن. ولذلك لا تحتاج معرفة تاريخ شعبنا من قبل أبنائه لفصول دراسية ولا لكفاءات جامعية، بل لو نظر كل واحد منا إلى سيرة عائلته أو قريته أو مدينته لكفاه. إنه تاريخ شعب وقع ضحية للاستعمار البريطاني ثم الاستيطان الصهيوني فناله من ذلك وذاك القتل والتشريد والتجويع ونزلت بساحته كل أصناف الإرهاب والتعذيب. أهذا الذي تريد قيادة حماس شطبه وهي التي تصر على حق كل واحد من أبناء شعبنا في أن يرجع إلى بيته أو بيت أبيه أو أمه، وعلى حق الأمة العربية والإسلامية قاطبة في أن تكون فلسطين – التي تمثل القلب منها ـ محررة خالية من البؤر الاستعمارية التي ما زرعت فيها إلا للنيل من الأمة قاطبة؟ أم أن الذي تدعو حماس إلى التراجع عنه والتخلص من عاره هو مسيرة الانهزام والاستسلام التي لطخت سمعة شعبنا والتي انحرفت عبرها فئة قليلة – ضلت بسبب اليأس والإحباط تارة وبسبب مطامع آنية وشخصية تارة أخرى – بمشروع التحرير عن الصراط المستقيم فوجدت نفسها شريكة في مشروع تزوير تاريخ شعبنا، الذي أضحى بنص من أوسلو وخارطة الطريق إرهابياً ينبغي أن يجرد أولاً من سلاحه حتى يسود السلام والوئام بينما أصبح اللصوص الصهاينة – شذاذ الآفاق ـ شركاء في مشروع حضاري يبنونه على أرض كم ارتوت حين سلبوها بما سفكوه من دماء آبائنا وأجدادنا وتروى اليوم بما يسفكونه من دماء أبنائنا وإخواننا من الشرفاء الذين لم يفت في عضدهم ولم يبدلوا تبديلاً؟

وأما مكاسب منظمة التحرير واعتبارها ممثلاً شرعياً ووحيداً، فهل بقي لها من مكاسب بعد أن انحرف بها قادتها غير المنتخبين وغير المخولين من قبل الشعب الفلسطيني لا في الداخل ولا في الشتات؟ كيف يكون ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني من يقبل بشرعية ما وقع على الشعب من عدوان؟ إن المنظمة لا يمكن أن تكون ممثلاً شرعياً ووحيداً إلا إذا كانت تعبر بصدق ووفاء عن طموحات وآمال الشعب المظلوم منذ ما يقرب من ستين عاماً أو يزيد. أنا واحد من ملايين الفلسطينيين الذين لا يرون في المنظمة كما هي اليوم ممثلاً شرعياً ولا وحيداً لشعبنا، ولذلك فإن واحدة من أولى أولويات حماس هي إصلاح المنظمة حتى تصبح فعلاً ممثلة لنا جميعاً لا مجرد إطار سياسي تتحرك من خلاله نخبة مستفيدة لجني المزيد من الفوائد على حساب الشعب المضطهد والمحتجز في سجنه الكبير.

لم يعد سراً أن الأكثرية من أبناء الشعب الفلسطيني اليوم تعتبر إصلاح منظمة التحرير شرطاً أساسياً لإعادة إحياء دورها الذي وأدته عصبة «أوسلو» بعد أن امتطتها للوصول إلى غايتها. وإصلاح المنظمة يتطلب نفضها نفضاً تاماً وتخليصها مما شابها من شوائب وما حل بها من مصائب. لا ينبغي إطلاقاً وصف منظمة التحرير بأنها الممثل الشرعي والوحيد طالما لم تكن ممثلة فعلاً للفلسطينيين من خلال انتخابات حرة ونزيهة تجري في الداخل والخارج، وحينها فقط يمكن أن نعترف بالسلطة التمثيلية لها. أما أن يكون القائمون على المنظمة هم ممن لم يخترهم الشعب الفلسطيني بمحض إرادته ومن لم يعد في أولوياتهم الوفاء لحقوقه الأساسية وعلى رأسها حق العودة إلى كل قرية أو مدينة دمرها الغزاة يوم أقام لهم المستعمرون في بلدنا كياناً سرطانياً أسموه «إسرائيل» وإسرائيل عبد الله يعقوب منه براء، فلا والله لا تمثلنا ونحن منها ومما صدر عنها من معاهدات استسلام براء.

* مدير معهد الفكر السياسي الاسلامي في لندن

أينما نولي وجوهنا فثمّ العمى

د. علي محمد فخرو

■ نحن العرب، أينما نولِّي وجوهنا فثمّة ظاهرة محيرة. فلا الشارع العربي بمنأى عن ذلك ولا الحكومات العربية. دعنا نأخذ مثلين على ذلك:

أولا: الفيلسوف اليوناني حذّر شعب أثينا، منذ خمسة وعشرين قرناً، بأن العقاب الذي سيحلُّ بهم، إن رفضوا إعطاء إهتمامهم لشؤون الحكم في مدينتهم، سيكون العيش تحت حكومة يقودها أسوأ أنواع البشر. اليوم، نحتاج أن نذكِّر الشعب العربي بأنه إن استمر في عدم إعطاء إهتمامه لأولويّات السياسة التي تعصف بوطنه العربي فان مصيره على الأغلب سيكون لعدة أجيال قادمة العيش تحت حكومات مجانين البشر التي يظهر أنها ستتعاقب على واشنطن في المستقبل المنظور.

نذكِّر بمقولة الفيلسوف اليوناني ونذكِّر أنفسنا وذلك بمناسبة الذكرى الثالثة لاجتياح العراق من قبل جيوش الهمجية والتي تمرُّ على شعوب هذه الأمة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب وكأن الأمر لا يعنيها، هذا في حين أن مئات الألوف من المتظاهرين قد خرجوا في عواصم العالم المختلفة ليعبِّروا عن سخطهم على تلك الكذبة التاريخية الاستعمارية التي حاكتها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا.

الغريب أن نفس الشارع يستطيع أن يخرج مائتي ألف متظاهر في بلد تعداد سكانه نصف مليون للاحتجاج على قانون لا يريده البعض. نفس الشارع يستطيع إخراج مظاهرة من مليون شخص للاحتجاج على ممارسات نظام عربي تدخّل في شؤونهم. لكن هذا الشارع العربي نفسه يشاهد مذابح العراق وتمزيقه، يستمع كل يوم لأنين نسائه وأطفاله، يكتشف وجود سجون وقلاع احتجاز سرية امريكية لا تقل الممارسات الحقيرة فيها عمّا تصوره أبشع أفلام الرعب الخيالية، يستمع إلى تصريحات المسؤولين الامريكيين والانكليز والصهاينة التي لا تمتُّ بأية صلة لأية مشاعر إنسانية أو أخلاقية، يرى حكوماته وهي تقف خلف كل صفوف العالم تتفرجُّ وتلعق دم الضحايا من على يد الجلاّد.. يشاهد ويرى ويسمع لكنه لا يفعل شيئاً مماثلاً لما يفعله لقضايا أقلّ خطراً على مستقبل أبنائه وحضارته ودينه.

ما تفسير هذه الظاهرة المأساوية؟

هل هو وجود هوّة سحيقة بين الشارع العربي والشارع الدولي؟ أم أننا وصلنا بحق للصورة التي رسمها المرحوم الصادق النيهوم من أن كل مواطن عربي لوحده يبدو عاقلاً في تمام وعيه لكن الأمة ككل تبدو غائبة عن الوعي؟ أم أن الصورة التي صورها المتنبي (قد تعيش النفوس في الضيُّم حتى / لترى الضيّم أنها لا تضام) قد أصبحت هي التركيبة النفسية لهذه الأمة؟ أم أننا نمارس الإنتحار الداخلي الذي وصفه المؤرخ الانكليزي العظيم أرنولد توينبي على أنه مقدِّمة لإنهيار الحضارات.

ثانيا: يجوب في هذه الأيام رئيس معهد العالم العربي دول مجلس التعاون ليشرح لحكوماتها الوضع المالي الخطير لهذا المعهد. فهذا المعهد الثقافي العريق، المشترك بين حكومة فرنسا التي تتكفّل بتحمُّل ثلثي ميزانيته السنوية وبين حكومات إثنين وعشرين دولة عربية والتي تفشل سنوياً بصورة مخجلة من القيام بتحمُّل ثلث ميزانية المعهد التي وعدت بها عند تأسيسه، هذا المعهد مهدّد الآن في وجوده.

إن حكومات الأمة العربية بسبب جهلها لا تستطيع أن تفهم وتقدِّر أن باريس هي نافذة الثقافة لكل أوروبا وأن هذا المعهد بالتالي هو استثمار في أوروبا كلها. وهي لا تريد أن تعرف أن دعم هذا المعهد هو في صلب مقاومة الهجمة المسعورة التي تشنها القوى الصهيونية على ثقافة العرب والمسلمين وأنه معهد يشهد القاصي والداني بأنه خدم الثقافة العربية والإسلامية في أوروبا أكثر مما خدمته كل وزارات الإعلام العربية مجتمعة ومما خدمته الكثير من أقسام الدراسات الشرقية أو الإسلامية في الجامعات الامريكية والأوروبية التي تعيش في أبراجها العاجية ولا تتواصل مع المواطن العادي في الغرب.

كيف لا يصاب الإنسان بالإحباط وهو يرى أن العمى قد أصاب حكومات وشعوب هذه الأمة، فالى أين نولِّي وجوهنا؟

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:

مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:

عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ

فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN